

«يا مدارس يا مدارس.. ياما كلنا ملبس خالص»

عزة كامل

بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد، ومعاناة أهل من المصاريف وشراء الزي المدرسي والأدوات المدرسية والطلبات العجيبة التي يطلبها منهم الأساتذة والمدرسون، علينا أن نتذكر أن ملايين من الأطفال يعملون تباعين ومنادين على عربات الميكروباص، أو صبية في ورش، أو صيادين على مراكب، أو عمال صغار في المحاجر، ومنهم من يبيعون المناديل في الشوارع المزدهمة، يسرون وهم ينقرون على زجاج السيارات من أجل بيع بضائعهم الرخيصة، قبل أن ينالوا عقابهم من المسؤولين عن تسريحهم، أو صبية يعملون لتوصيل الطلبات وينتظرون البقشيش، أو يمارسون الشحاة الصريحة، «طفولات» مهدورة ومستقبل مظلم.

وحسب آخر إحصاء لهيئة الأبنية التعليمية 2015/2016 يصل عدد القرى المحرومة من التعليم الأساسي في مصر 2370 قرية، وذلك لعدم توفر مدارس أو فصول دراسية، مما يعنى حرمان أطفال هذه القرى والنجوع من التعليم بشكل كامل، مما يؤدي إلى اتجاه الأطفال لسوق العمل، معرضين حياتهم للمخاطر والاستغلال، بالإضافة إلى التسرب من المدارس لسوء الإدارة بالمدارس، وعدم الاهتمام من قبل المديريات التعليمية، علاوة على كثافة الفصول، وعدم وجود فناءات

للتريخ، أو أسوار، وانتشار الفقر وعدم مناسبة المناهج لبيئة الطلاب ولأعمارهم، ولا العصر، ومعلمين ليسوا مؤهلين تعليميا يحصلون على عائد مادي لا يكفي حياة كريمة، مما يجعلهم يمارسون عنفا واستبدادا تجاه التلاميذ وإجبارهم على تعاطي الدروس الخصوصية، كذلك غياب الاستراتيجية التعليمية الرشيدة التي تؤدي إلى تسرب التلاميذ، وحرمانهم من التعليم، وفقا للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء 2017 وصلت نسبة الأمية 25.80% (للأفراد 10 سنوات فأكثر)، ومعدل الأمية بالريف 32.2% مقابل 17.7% بالحضر، وبالطبع معدل الأمية بين الإناث مرتفع، وقلة عدد المعلمين بالنسبة لعدد الأميين، بالإضافة إلى انخفاض المرتبات.

يجب أن يكون التعليم أولوية في برامج وخطط وموازنات الحكومة، فالأهم والحكومات الكبرى تقدمت لأنها وضعت التعليم كأولوية حتمية، وبدونه لن تتحقق التنمية العادلة المستدامة ولن تتحقق متطلبات المستقبل، النظام التعليمي في مصر أصابته ¹شبحوخة مزمنة، ولم يعد قادرا على بناء أجيال تعيد لنا حضارتنا المفقودة التي بناها أجدادنا بالعلم واحترام المعلم، ونقشوا على الحجر وشيدوا المعابد والأهرامات باستخدام العلم، ومازال العالم ينهر أمامها، وغير قادر على اكتشاف أسرارها الغامضة.

لا يليق بالأحفاد أن يضيعوا حضارة الأجداد العظيمة، وبالأحرى التفوق عليها، التعليم هو الموسيقى الخفية التي تحرك العقول وتصلقها، وتجعل القلوب تعرف استنارة وأملا، هو مصدر النور، والإبداع والفرح، ودون ذلك الموت.